لغة الجسد في النص القرآني الشريف
أمثلة جزئية وموجهات كلية

د . مهدي أسعد عرار
ج. بيرزيت كلية الآداب فلسطين

يظهر من هذا العنوان العريض انه قائم على ثلاثة أقطاب مؤسسة، أولها لغة الجسد ،وثانيها النص القرآني الشريف، وثالثها نماذج جزئية تعقبها موجهات كلية، أما لغة الجسد فهي باب القول ومطلب البحث ،وأما النص القرآني فمضمار البحث وميدانه، وأما النماذج الجزئية فهي أمثلة البحث وأدواته المجلية، وأما الموجهات الكلية فهي صفوة المستخلص لما ورد في البحث من فكر ومباحث فرعية، وقد هدف الباحث إلى تمثل لغة الجسد" في النص القرآني الشريف، فوقف عند مباحث فرعية فيه أهمها تلمس" الدلالة بين جسد اللغة ولغة الجسد" وتلمس دلالات حركة الرأس وهيئاته، ودلالات حركة العين وهيئاتها، ودلالات حركة اليد والوجه وإيحاءاته، وحركة الأصابع والمشية وأنواعها وإيحاءاتها، والمتممات المساندة في لغة الجسد .

في مقاصد العنوان

يظهر من هذا العنوان العريض أنه قائم على ثلاثة أقطاب مؤسسة، أولها لغة الجسد، وثانيها النص القرآنيّ الشريف، وثالثها نماذج جزئية تعقبها موجهات كلية، أما لغة الجسد فهي باب القول ومطلب البحث، وأما النص القرآني فمضمار البحث وميدانه، وأما النماذج الجزئية فهي أمثلة البحث وأدواته المجلية، وأما الموجهات الكلية فهي صفوة المستخلص لما ورد في البحث من فكر ومباحث فرعية .

تلمس الدلالة بين لغة الجسد وجسد اللغة:

أولا: جسد اللغة

من المقرر المستحكم أن للغة جسدا بنيويا يشف عن معنى، وأن هذا الجسد مؤتلف من مستويات لغوية، وأن كل مستوى من تلكم المستويات يفضي إلى معنى قائم برأسه، فثم مستوى صوتي ينبئ عن دلالة صوتية، وثم مستوى صرفي تتشكل فيه دلالة صرفية، وثم مستوى معجمي تتشكل فيه دلالة معجمية، وثم مستوى تركيبي يمكن استشراف دلالة تركيبية فيه، وباستجماع تلكم المستويات جنبا إلى جنب يغدو الناتج جسد اللغة البنيوي، وباستجماع تلكم الدلالات بغدو الناتج المعنى البنيوي.

وإذا ما تفحص الدارس الدلالات المتقدم بيانها فسيجد أن للدلالة الصوتية روافد، أهمها التنغيم الذي هو تباين في درجة الصوت ارتفاعا وانخفاضا لينبئ هذا التباين عن معان نحوية عريضة، وأن المفصل الصوتي سكتة كلامية خفيفة بين حدود الكلمات أو الجمل، فتعمل على ميزها وتعيينها[1]، وأن الدلالة الصرفية في العربية قائمة على أن العربية لغة وزنيه قالبيه اشتقاقية، فكل كلمة في العربية في الغالب ما عدا الحروف وبعض الكلمات الأعجمية لها وزن صرفي، وكل وزن أو قالب له معنى صرفي، ويضاف إلى ما تقدم الظواهر الاشتقاقية وما تؤديه من معان صرفية، ويضاف، في باب القول على الدلالة الصرفية، معاني السوابق واللواحق المتمثلة في كونها مورفيمات حمالة لمعان صرفية[2].

أما الدلالة المعجمية فتتجلى في كون كلمات اللغة حاملات لمعان معجمية معينة في المعجم الجامع لأبناء اللغة الواحدة، ومرد ذلك إلى أن الكلمة علامة لغوية ران عليها إلف الجماعة الناطقة بها، فغدت تقدح في الخاطر الصورة الذهنية التي انعقد عليها إجماع أهل اللغة القائم على العرف والمواضعة، ثم إن هذه العلامة اللغوية ثنائية الكيان ؛ ذلك أنها تأتلف من قطبين، وهما الفكرة، والصورة الصوتية[3]، ومن مجموعهما ينشأ المعنى الإشاري، والمعجم معين كلمات اللغة، ومستودع ثقافة الأمة وفكرها، وهو، ممثلا بجوهره " الكلمات المستودعة فيه، في حركة دائبة متوثبة؛ فمن حياة إلى ضعف إلى غيبة إلى رجعة، وأهل اللغة يضيفون عليه مشتقين ومرتجلين ومقترضين وناحتين، والكلمات فيه ليست ثابتة

على حال، فثم انزياح لها عن دلالاتها ممثلا بتوسيعها وتضييقها وانتقالها ورقيها وانحطاطها، كل ذلك يؤذن بالقول إن هذه الحركة المتوثبة الدائبة إنما هي وجه من وجوه الوفاء بالقصد الأول للغة، وهو الإبانة عن المقاصد ورسوم التعبير إبانة تتساوق مع كل حادث وكل متغير .

أما الدلالة التركيبية في جسد اللغة فعريض بابها، وصفوة المستخلص أنها قائمة في العربية على نظام الجملة ونظام الإعراب، أما نظام الإعراب فبه تتمايز المعاني النحوية العريضة من فاعلية ومفعولة وإضافة وغيرها، وتتعين هذه المعاني بغير سبيل, ومن أشهرها العلامة الإعرابية،وكذلك الرتبة، والإسناد وغير ذلك مما لا يتسع المقام للخوض فيه، أما نظام الجملة فبه تضبط الجملة من حيث هيئات رصف الكلم: فهناك رصف ملقى على عواهنه، مجاف عن قواعد النظم الجملي في العربية، وهذه من الرصف لا إبانة فيها البتة ذلك أنها خارجة عن مضمار أعراف النظام اللغوي، وليس يصح في الفهم أن يؤتى بالفعل من غير تعليقه وإعماله في اسم, ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يراد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلا أو مفعولا، أو يراد فيه حكم من الأحكام النحويةّ[4]، " وان أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أي كلام شئت،وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، فقل في:" قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" : من نبك قفا حبيب ذكرى منزل"، ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها"[5].

وقد يتناول التركيب في جسد اللغة من وجهة أخرى؛ ذلك أن النص يأتلف من فقرات، والفقرات تأتلف من جمل كبرى، والجمل الكبرى ترد إلى جمل صغرى توليدية[6]، والجمل التوليدية هي التي تأتلف من عدد من الكلمات الرئيسية من غير نقص أو زيادة، وإن نقص منها جزء اختل معناها، وان زيد عليها شيء قابله زيادة في المعنى[7]، وعماد هذه الجملة علاقة الإسناد وقطباها.

ولكن، من ذا الذي يقنع اللغوي أن المعنى إنما هو متعين من الدلالات المعينة في تلك المستويات فقط، أو من المتحصل من جسد اللغة الموسوم آنفا ؟ إن ما يقدمه جسد اللغة البنيوي إنما هو المعنى البنيوي المقالي فقط، والجسد لا بد له من محيط يشتمل عليه، ويؤثر فيه، ومن هنا يأتي فضل سياق الحال والأنظار الخارجية والقرائن لتفعل فعلها في تشكيل المعنى، وبذا يكون المعنى مؤتلفا من الرافدين: المعنى المقالي، والمعنى ألمقامي[8].

لعل هذه المباحث في الشق الأول من الثنائية الدلالية، وهي "جسد اللغة"، تفضي بالباحث إلى الولوج في الشق الثاني منها، وهي " لغة الجسد".

ثانيا : لغة الجسد

أما لغة الجسد، ولنتواضع عليها في هذه المباحث بأنها الرافد الصامت المفضي إلى معنى بل معان، فهي لغة عالمية، ولنا أن نشبه المعنى بأن له روافد تغذيه، وأن هذه الروافد كالمجاري، فمنها المجرى الصائت، وهو الكلام الذي تتشكل به الرسالة فينعقد به التواصل، ومنها المجرى الصامت الذي عليه عقد

الباب والموضوع، وقد تنقل الرسالة بالمجرى الصائت، وقد يكون ذلك بتضافر المجريين، وقد يغذى المعنى برافد المجرى الصامت، وقد ألفى باحث أن تأثير الرسالة الكلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، أولها 7% من المجرى الصائت، و38% مما يعتري المجرى الصائت كالتنغيم والنغمة ودرجة الصوت، و55% من المجرى الصامت[9]. وقد توصل آخر إلى مستصفى من الرأي يقرب من هذا المتقدم، فقد المح إلى أن الجزء الكلامي من المحادثة الوجاهية تأتلف في جزئها الأصغر من 35% من الرافد الصائت لتأدية المعنى، وفي جزئها الأكبر من 65% من الرافد الصامت القائم على اطرح الكلام، واسترفاد ما يقوم مقامه من حركات الجوارح والشمائل والإشارات[10].

وللإمام الغزالي نظرات معجبة في تلمس أثر لغة الجسد في الإبانة، وتقديمها في مواضع على " جسد اللغة"، وقد أشار إلى أن المعنى لا يؤخذ من جسد اللغة فقط، فهناك لغة الجسد، وهناك الأنظار الخارجية والسياقية فالمعنى عند الإمام كل متكامل له روافد متعددة تفضي إليه، ويظهر ذلك في قولته المشهورة وهو يلحب السبيل أمام دارسي المعنى: " فاعلم أن كل من طلب المعاني أولا من الألفاظ ضاع وهلك وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه " [11].

وقد رأى أن الدلالة قد تتعين أحيانا بالفعل والرمز والإشارة [12]، ولذلك أفاض في حديثه عن القرائن، ومنها حركات الجوارح المعبرة بلغة الجسد، وقد عرج الغزالي، غير مرة، عليها في مستصفاه، فجعلها دوال مستقلة تفعل في

تشكيل المعنى، بل وصل الأمر به إلى عتبة إنكار كونها تابعة للألفاظ كما في مذاهب بعض الأصوليين[13]، " فمن سلم أن حركة المتكلم، وأخلاقه، وعادته، وتغير لونه، وتقطيب وجهه وجبينه، وحركة رأسه، وتقليب عينيه، تابع للفظه ؟ بل هذه أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوما ضرورية"[14]، ومن هذه الأدلة المستقلة التي عرض لها الإمام أنا نعرف عشق العاشق لا بقوله، بل بأفعال هي من أفعال المحبين، وما أكثرها وأجلاها لمن تبصر، وتنتهي كثرة هذه الدلالات " إلى حد يحصل لنا علم قطعي بحبه، وكذلك ببغضه، إذا رئيت منه أفعال ينتجها البغض، وكذلك نعرف غضبه وخجله لا بمجرد حمرة وجهه، لكن الحمرة إحدى الدلالات"[15]، وغير ذلك من القرائن- بعبارة الغزالي- التي " ليمكن حصرها في جنس، ولا ضبطها في وصف"[16].

والحق أن هذه اللغة الصامتة العالمية تشبه في بعض وجوهها اللغة الصائتة، وليس الدارس بمبالغ لو قال إن بعض الظواهر التي تتجلى في جسد اللغة تتجلى في لغة الجسد، ولأكتف ببعض الأمثلة على ذلك، وأولها نظرية "الدال والمدلول"، فللكلمة المعجمية جانبان،مادي ومعنوي، أما المادي فهو الدال، وهو الصورة الصوتية، وأما المعنوي فهو المدلول،وهو الصورة الذهنية التي تقدح في النفس عند ورود الدال عليها، والحق أن الحركة الجسدية كذلك أمرها؛ إذ إن لها دالا ومدلولا، أما الدال فهو الصورة التشكيلية التي تتجلى عليها الحركة، حركة الكف أو اليد أو العين أو الحاجب أو الوقفة.... وأما المدلول فهو الصورة الذهنية المعنوية التي تسترفد دلالتها من الدال الحركي، فكلتاهما- اعني الكلمة

في اللغة الصائتة، والحركة في اللغة الصامتة(الجسدية)-تأتلف من دال ومدلول، والملمح الفراق بينهما غير متعين في المدلول، بل في ماهية الدال؛ إذ انه في الصائتة صوتي ذو طبيعة رمزية، وفي الصامتة حركي ذو طبيعة رمزية أيضا[17].

ومن مواضع التشابه بين اللغتين ظاهرة المشترك اللفظي، فقد يحدث أن يقع تحت الكلمة معنيان وأزيد، لتغدو مما ينتسب إلى المشترك اللفظي كالعين، فان الحركة الجسدية قد يقع تحتها معنيان أو يزيد، فتنتسب إلى ظاهرة "المشترك الحركي"، فهزة الرأس يقع تحتها معان متعددة، ومن ذلك "الطرب"، أو "القبول"، أو"الرفض" والدال "فرك الكفين" قد يومئ بمدلولين : أولهما أن صاحب هذه الحركة قد اعتراه برد فاتاها، وثانيها انه فرح مبتهج، وتحريك أصابع اليد إلى الأعلى والأسفل حركة موضعية مع بقاء الإبهام مرفوعا ذو دلالات متعددة، ومن ذلك أنها تقوم مقام النداء، أو تعال، وقد تعني: ليس لدي، أو غير موجود، أو تعني الرفض كقولنا "لا" .

وللسياق فضل في تعيين المعنى في اللغة الصائتة، وكذلك الحال في اللغة الصامتة، اعني لغة الجسد، فثم حركات جسدية محتملة لمعان لا قبل لنا باستشراف مدلولها على وجه الإحكام والتعيين إلا بالسياق الذي يرد فيه هذا الدال الحركي؛ كالسياق الثقافي والحالي والقرائن الاجتماعية التي تحتف بها، وذلك نحو حك الرأس، فهي حركة جسدية مشتركة تستدعي معاني مخصوصة في الذهن، ومن ذلك أنها قد تدل على أن آتيها في رأسه قشرة، أو قمل، أو أذى،

وقد تدل على قلق المرء واضطرابه، فيفضي هذا الاضطراب النفسي الجواني إلى إيماء جسمي براني، وقد تدل- من وجهة دلالية أخرى- على نفاد الصبر، أو النسيان، أو الكذب... أخال أنه يصح في الفهم و يستقيم أن يقال إن المرء إذا ما أراد أن يعين معنى حركة ما فإن عليه أن ينظر إليها في سياقها متضافرة مع حركات أخر، وعلنا في هذا المقام نتحدث عن سياق الحال الذي يفعل في تشكيل المعنى وتعيينه(18).

وكما أن المعنى الواحد قد يعتو ره كلمتان، بل كلمات، لينشأ من بعد ذلك الترادف، فإن طائفة من الحركات قد تلتقي على معنى واحد، لينشأ بعد هذا" الترادف الحركي"، ومن ذلك معنى الرفض، فله دالان أو أزيد، كالرفض بهزة في الرأس، والرفض بالإشارة باليد، والرفض برفع الحاجبين إلى الأعلى مع توسع العينين، فحركة كل جارحة كفيل أمين بتأدية المعنى الذي قد تأتي به اللغة الصامتة. لعله يظهر بجلاء مما تقدم أن بعض النظريات الدلالية والمعجمية ممكن جدا أن تطبق على لغة الجسد كالترادف والمشترك والصيغ(19).

لغة الجسم في التنزيل العزيز :

يلفي القارئ في التنزيل العزيز آيات كريمات تشتمل على أوصاف من الحركات الجسمية المؤدية إلى معان، وقد تكون تلك الحركة سبيلا من سبل وصف المعنى وتشكيله، وتكون سبيلها الكناية، كتقليب الكفين في مقام الندم في التنزيل، أو تقديم رجل وتأخير أخرى في مقام الحيرة والتردد في كلامنا

اليومي، وقد أجمع على أن " الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية مفضلا"[20]، ولو قيل: أراك تقدم رجلا وتأخر أخرى فإن القائل- كما يرى الجرجاني – يوحي له بالصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد،" وكان هذا أوقع من صريحه الذي هو قولك : بلغني أنك تتردد في أمرك، وأنك كمن يقول: أخرج أو لا أخرج..."[21] .

وقد يكون ذكر هذه الحركات على سبيل وصف حقيقة عاشها قطب من أقطاب الحديث أو الحدث الكلامي ؛ ذلك أنها وقعت فعلا؛ ثم وصفها الله لنا على أنها كواشف لحالات نفسية، ومنها دلالات حركة الرأس وهيئته ؛ كرأس الخفيض المتضامن، وتلويه الرأس وانفضاضه، ومنها العين وهيئاتها المتباينة بتبيان الحال النفسية والسياق، فثم العين المزدرية المستهزئة، والأخرى الكارهة الساخطة، والثالثة الدائرة الوجلة، والرابعة الهمازة الغامزة، والخامسة المائلة الزائغة، والسادسة الضيقة الكليلة ،وهناك اليد ودلالتها، والوجه، والخد، والعنق.

وفي هذه الورقة تعريج على الحركة الجسمية في التنزيل العزيز؛ لبيان مواضعها، وهيأتها، واستشراف أثرها في رسم المعنى، وتشخيصه، وتحليل الخطاب القرآني الشريف. لننظر في بعض هذا آخذين بعين العناية فضلين لورود الحركات الجسمية في تنزيل العزيز؛ أولهما فضلها في أداء المعنى وتشخيصه، وثانيهما ارتفاع الكلام إلى طبقة الفصاحة كما تقدم آنفا عند الجرجاني وسيتجلى بعدا عند الزمخشري، عند ذلك " يجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه "[22] .

لننظر في هيئات بعض الحركات الجسدية ودلالاتها في التنزيل العزيز مستفتحين ذلك بحركة الرأس ودلالاتها:

من دلالات حركة الرأس وهيئاتها :

للرأس حركات وهيئات حمالة لدلالات متباينة بتباين الحال النفسية والسياق، كحركة تنبئ عن الرفض،و أخرى عن القبول، وثالثة عن الاستهزاء، ورابعة عن الإنكار، وخامسة عن التحية، وقد استجمع بعض من يتصدرون لهذا المطلب ؛ مطلب الوقوف على لغة الجسم ،ثلاث هيئات كلية للرأس:

- أولها الرأس الخفيض الذي قد يكون له محمولات دلالية لا قبل لنا بتعيينها إلا بالسياق والحركات المصاحبة، كالخجل، أو الخوف، أو الخضوع، أو الاستسلام، أو الضعف، أو الجبن.

- وثانيها الرأس المرفوع الذي قد يلمح إلى الكبر والتعالي، أو العداء، أو الإباء، أو الإزداراء.

- وثالثها الرأس المنحي المثني إلى جانب، فقد يومئ إلى الفتنة، أو الغواية، أو الملاطفة أو الحنان [23]، وفي التنزيل العزيز وردت للرأس هيئات متعددة . لنرجع البصر فيما يأتي :

الرأس الخفيض المتضامن :

" ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون"[24]

وسياق الآية الشريفة يقرر أن مساءلة النبي إبراهيم المفحمة أفضت إلى ولوجهم في باب الحيرة، ورجع النظر، وإطراق في التفكير، وللمرء أن يتصور حال من لا حجة له حين يساءل فيفحم فيغرق في التفكير والتنقير والتأمل، أخال أن حركة رأسه ستكون على الهيئة المرسومة آنفا، والمنبئة عن ارتكاسه، وأول خاطر ورد على نفوسهم أن هؤلاء لا ينطقون، "فتحيروا وعلموا أنها لا تنطق"[25] . وقد التفت الشريف الرضي إلى هذا التصوير المعجب المبين عن حالهم، فالمراد به " وصف ما لحقهم من الخضوع والاستكانة والإطراق عند لزوم الحجة، فكأنهم شبهوا بالمتردي على رأسه تدويخا بنصوع البيان، وإلباسا عند وضوح البرهان[26] . ومن مثل حركة الرأس المنبئة عن العجز والذل قوله الحق ـ تقدس اسمه ـ : "ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا..."[27] . وللمرء أن يسرح خواطره متمثلا هذه الصورة يوم يقوم الناس لرب العالمين ،فأما المجرمون الذين أوتوا كتبهم بشمائلهم فقد ندموا ولاة حين متندم، وصاروا أذلة قلبا وقالبا، فالرؤوس منكوسة متضامنة وطأطأة من الذم والخزي والحزن والذل والغم[28] .

تلوية الرأس :

"وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون"[29]، وفي تلويه الرأس يتجلى معنى الاستهزاء والإباء، والحق أن هذه حركة جسدية شائع استعمالها، بين معناها في يومنا هذا، وسياق الآية ينبئ عن هذا المعنى الذي جاء في جنب المنافقين، فلما نزل القرآن بصفتهم، مشى إليهم عشائرهم، قائلين: افتضحتم بالنفاق، فاطلبوا أن يستغفر لكم، فكان جوابهم بهذه الحركة الجسدية استهزاء وإباء[30]، وقد التمس الطبرسي من هذه الحركة معنيين متقاربين، أولها أنهم أكثروا تحريكها بالهزأ، وثانيها أنهم أمالوها إعراضا عن الحق، وكراهة لذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وكفرا واستكبارا[31]، وفي إمالتها بالهزأ إعراض عن الحق، فالمعنيان الواقعان تحت هذه الحركة الجسدية صالحان لا يتدافعان .

انغاض الرأس :

"فسيقولون من يعيدنا، قل الذي فطركم أول مرة، فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو"[32].يظهر من هذه الآية الكريمة مشهد حوار يتجاذبه قطبان : مؤمن مثبت، وجاحد منكر يتوسل لبث إنكاره بالرافدين " الصامت، وهو إنغاض الرأس، والصائت، وهو قولهم بأفواههم:" فسيقولون متى هو؟". أما عن دلالة إنغاض الرأس فهي قائمة على تحريكه تحريك المستهزئ

المستخف المستبطئ لما أنذروا به[33]، وقد قال القرطبي:أنغض رأسه أي حركه كالمتعجب من الشيء[34].

⋆ من دلالات حركة العين وهيئتها:

جاء في " العقد الفريد " أن "العين باب القلب،فما كان في القلب ظهر في العين"[35]، وقد روى الأصمعي عن غيره أنه قال: "إني لأعرف في العين إذا عرفت، وأعرف فيها إذا أنكرت، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر، أما إذا عرفت فخواص[36]، وأما إذا أنكرت فجحظ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو"[37].وقد عقد ابن عبد ربه بابا في "العقد" سماه "الاستدلال باللحظ على الضمير" [38]، وقد أورد فيه نماذج فاقعة الدلالة من التراث العربي الأدبي على أثر العين في التواصل والإبانة.

وقد ورد للعين ذكر كثير في كلام الشعراء، وخاصة في مقامات العشق والعشاق، وحاضرات الاستخفاء والرمز، ولا بأس بإيراد نموذجين ممهدين لاستشراف هذا المبحث في التنزيل العزيز:

أشارت بطرف العين خشية أهلها إشـــارة محزون ولم تتـكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم[39]

ومن مثل ما تقدم تغييب الكلام في سياق العشق، واسترفاد سفيره العين:

وإذا التقينا والعيون روامـق صمت اللسان وطرفها يتلكم
تشكو فأفهم ما تقول بطرفها ويرد طرفي مثل ذلك فتفهم[40]

وقد ورد للعين في التنزيل صور حركية تتباين بتباين السياق والحال، فأنبنى على ذلك تباين في الدلالة التي ترشح لها كل حركة للعين، وهذا – من وجهة أخرى – مما يندرج تحت باب " والعين تنطق والأفواه صامتة"، فهناك العين المزدرية الهازئة، والعين الكارهة الساخطة، والعين الدائرة الوجلة العين المائلة الزائغة، والعين الضيقة الكليلة، والعين الهامزة الغامزة... لنتبصر فيما يأتي بسطا للقول، ورفعا للإجمال المتقدم:

العين المزدرية الهازئة:

وقد ورد هذا المعنى في قول الحق – تقدس اسمه- على لسان نبيه نوح عليه السلام: " ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا[41]. والظاهر أنها عين الكافر الجاحد التي يستصغر بها المؤمنين الفقراء، وما كان جواب نوح إلا أن قال إنه لا يقول لهؤلاء الفقراء الذين يستخفونهمم ويستقلونهم وتحقرهم أعينهم لن يؤتيهم الله خيرا[42].

العين الكارهة الساخطة:

وقد تجلت هذه الدلالة في قوله – تبارك-: " وإن يكاد الذين كفروا ليزحلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون "[43]. وقد كثر كلام

المفسرين عن دلالة العين في هذا السياق الشريف،و الظاهر أن هيئتها ههنا تؤذن بتعيين معنى العداء، والمعنى الكلي: ينظرون إليك عند تلاوة القرآن، والدعاء إلى التوحيد ن نظر عداوة وبغض و إنكار لما يسمعونه، فكأنهم يكادون يصرعونك بحدة نظرهم تلك، وقد عرج الطبرسي على اثر رسم هذه الحركة الجسمية في توصيف المعنى فهذا "مستعمل في الكلام،يقولون: نظر إلي فلان نظرة يكاد يصرعني، ونظرا يكاد يأكلني فيه، وتأويله كله أنه نظر إلي نظرا لو أمكنه معي أن يأكلني أو يصرعني لفعل"[44].

العين الدائرة الوجلة:

وقد ورد هذا المعنى في قول الحق – تقدس اسمه- في وصف المنافقين : " أشحة عليكم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت"[45]، وسياق الآية الشريف يدور في مضمار خوفهم من القتال وانصرافهم عنه، فهم الأشحة الأضناء وقت البأس والشداد، والسالكون بألسنة حداد، وقد تجلى أثر خوفهم وتجافيهم عنها في العيون الدائرة المضطربة، فإذا ما ذكر القتال صاروا ينظرون كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولوذا[46]، والحق أن القرطبي قد أجاد في استشراف معنى حركة هذه الجارحة في هذا السياق الشريف، فدوران الأعين باعثه ذهاب العقل حتى ليصح منهم النظر إلى أي جهة، وقيل "لشدة خوفهم حذرا أن يأتيهم القتل من كل جهة"[47].

العين الهامزة الغامزة :

وقد تجلت هذه الحركة العينية في قوله-تبارك-:"و يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور[48]، وللمفسرين في "خائنة الأعين" أقوال ومذاهب ليس المقام مقامها، و إنما يعنيان ما ينتسب إلى لغة الجسد بنسب حميم، فقد قيل إن خيانتها هي مساوقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه،وقيل هو الرمز بالعين[49]، وقال القرطبي هي الهمزة بالعين والغمز بها والأغماضة فيما لا يحب الله[50] .

وقد ورد على دلالة هذه الحركة الجسمية الشريف الرضي، فعد قول الحق"خائنة الأعين" استعارة يراد بها الريب في كسر الجفن، ورامز العيون، وقد سمى الحق ذلك خيانة لأنه إمارة للريبة، ومجانب للعفة[51] وقد قال أبو حيان في معرض تعريجه على خائنة الأعين وما تخفي الصدور: لما كانت الأفعال التي يقصد بها التكتم بدنية فأخفاها "خائنة الأعين" من كسر جفن وغمز ونظر يفهم معنى، أو قلبية ضميرية ذكر الله أن علمه متعلق بهما التعلق التام[52].

العين المائلة الزائغة:

وقد تجلى هذا المعنى في قوله-تبارك-:"إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر"[53] ،و للمرء أن يتخيل في الموقف ذاك أعداء يتربصون بالنبي وصحبه الدوائر، ومنافقين مرجفين في المدينة، وخطرا محدقا محيطا كإحاطة الخندق بها، وقد ظهر ذلك على جوارحهم،

فغدت دالة ناطقة بلسان المقال والحال، فزيغها ميلها عن مستوى نظرها فعل الواله الجزع[54]، فقد مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلا من كل جانب، " وعدلت عن مقرها من الدهشة والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر"[55]، وقد المح إلى هذه الحركة العينية الشريف فقال مستشرفا معنى هذا الوصف الجسدي :"فالمراد به تشتت ألحاظها، وعدولها عن جهة استقامتها نظرا إلى مطالع الخوف، وجزعا من مواقع السيف، ومن عادة الخائف المتوقع أن يكثر التفاته وتتقسم ألحاظه[56].

العين الضيقة الكليلة :

وقد تجلى هذا المعنى في قول الحق: " وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي"[57]، وقد وقف بعض المقرأة عند "خاشعين" مستشرفين مفصلا صوتيا للإبانة عن المعنى، ذاهبين إلى أن شبه الجملة" من الذل " متعلق بـ " ينظرون من طرف خفي"[58]، وقد التمس المفسرون من قول الحق " طرف خفي" دلالات متعددة فقد يكون أنهم لا يرمقون أبصارهم للنظر رمقا تاما، لأنهم ناكسو الرؤوس، والعرب تصف الذليل بغض النظر من شدة الخوف، وكأن حركة عينهم تفضي إلى القول بأنهم ينظرون من طرف خفي، وقد يكون أنهم ينظرون إليها بجميع أبصارهم لما يرون من أصناف العذاب[59]، ولعل الأشبه والأليق بمقصود الكلام أن المتعين من وصف هذه الحركة الجسدية أن نظرهم إليها هو نظر الخائف الذليل، والمرتاب الضنين الذي لا ينظر إلا مسترقا،

ولا يغض إلا مشفقا[60]. والحق أن الزمخشري قد استشف هذا المعنى قبلا، فألمح إلى أن نظرهم يبتدئ من تحريك لأجفانهم ضعي)ف خفي بمساوقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف، وهكذا نظر الناظر إلى الكاره، ولا يقدر أن يفتح أجفانه عليها، ويملأ عينه منها كما يفعل في نظره إلى المتحاب[61].

وبعد، فباب الحديث عن العيون يطول، وفضلها في الدلالة والتواصل ظاهر لا يخفى على المرء في مخاطباته، وحسبي بعد ذلك كله قول الشاعر مستشرفا فضل العين في التواصل، ملتمسا وشائج بين العين والقلب، مقررا صمت الأفواه ونطق العيون في مواضع :

إن العيون على القلوب شـــواهد فبفيضها لك بين وحبيبــها

وإذا تلاحظت العيون تفاوضت وتحدثت عما تجن قلوبــها

ينطقن والأفواه صامتـــة فمــا يخفى عليك بريئها ومريبها[62]

*** من دلالات حركة اليد:**

يتجلى معنى الندم من حركات جسدية في ثلاث هيئات مضمارها اليد، وهي:

- " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا"[63].
- " يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا" [64]
- " ولما سقط في أيديهم وروا أنهم قد ضلوا "[65].

ها نحن أولاء نعود إلى ظاهرة الترادف في الحركة الجسدية؛ ذلك أن هذه الحركات الثلاث تلتقي على معنى واحد جماعة الندامة والأسف. أما الأولى فهي حكاية حال رجل أصبح يقلب كفيه ندامة على ما أنفق في جنته لما أحيط بثمره، فقد ألفاها خاوية على عروشها.

أما الثانية فهي حكاية حال ظالم يعض على يديه ندامة، فالأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، أما الثالثة فهي حكاية حال قوم اتخذوا من حليهم عجلا جسدا من دون الله، فلما فاءوا إلى رشدهم، وسقط في أيديهم، اعترفوا بذنوبهم.

واللافت للخاطر أن هذه الآيات الثلاث تتقارب في سياقها الكلي وحركتها، فأولها، كما يظهر، ظلم للنفس، كما كان من أمر من أشرك بربه في الأولى، والذي اتخذ خليل سوء في الثانية، والذين عبدوا العجل في الثالثة، وثانيها ندم ولاة حين المتندم، ويعقب هذا كله حال نفسية تظهر على الجوارح كما ظهرت على اليد، فالأول أصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن، وهيئة تقليب الكفين أن يبدي باطن كفه، ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها، وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته، المتأسف على فقدانه، وقيل أصبح يصفق بيديه[66].

أما في الثانية، وهي عض الظالم على يديه، فهي كذلك فعلة النادم المتفجع ، وقد عدها أبو حيان مجازا يعبر بها عن التحير والغم والندم والتفجع، فقد جاء في المثل" يأكل يديه ندما ، ويسيل دمعه دما"[67].

أما في الثالثة، وهي السقوط في اليد، فهذا أسلوب كنائي ليس فيه من الحقيقة شيء، فيقال لكل من ندم وعجز عن شيء: سقط في يده، واسقط في يده[68] ولما عرج الزمخشري على هذه الآية أشار إلى أن المعنى:" اشتد ندمهم حسرتهم"،لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما، فتصير يده سقوطا فيها، لأن فاه قد وقع فيها [69] وقيل إنها مأخوذة من هيئة جسدية ناطقة تعتري النادم، ولذلك يطأطئ رأسه، ويضع ذقنه على يده، معتمدا عليها، ويظل على صورة لو نزعت يده لسقط على وجهه، كأن اليد مسقط فيها [70]، وصفوة القول في هذا الأسلوب الكنائي الرفيع أنها " لا شيء على الحقيقة هناك سقط في أيديهم "[71].

وقد وقف الزمخشري عند هذه الحركات ملمحا ذيوعها بين الناس، وتواضعهم على معناها، فقد أشار إلى أن " عض الأنامل، واليدين والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرام، وفروعها، كنايات عن الغيظ والحسرة، لأنها من روافدها، فيذكر الرادفة، ويدل بها على المرد وف، فيرفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه" [72] .

*** حركة اليد بين إيماءة السكوت وإبداء الغيظ :**

" جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم، وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به "[73]، وقد تباينت أقوال المفسرين في استشفاف هيئة " رد أيديهم في أفواههم " تباينا أنبنى عليه اختلاف في دلالة هذه الحركة الجسدية، فقد قيل :

- إنها تومئ إلى الغيظ والكيد، وقد جعلوا أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم ليعضوها غيظا، وقريب من هذا قوله- تعالى- :"عظوا عليكم الأنامل من الغيظ " [74].

- إنها تومئ إلى الحيرة والعجب؛ ذلك أنهم سمعوا كتاب الله فعجبوا ورجعوا إلى أنفسهم، وردوا أيديهم إلى أفواههم مطرقين متأملين .

- إنها إشارة معناها "أسكت "، فلما قال لهم رسول الله إنه رسول من الله إليهم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت تكذيبا له، وردا لقوله، واستبشاعا لما جاء به.

- إنها تومئ بالهزأ والضحك، فمن عادة من يغلبه الضحك أحيانا أن يرفع يده إلى فيه [75].

من دلالات حركة الأصابع

يظهر من حركة الأصابع في التنزيل العزيز أنها مومئة إلى ثلاث دلالات : أولها الخوف، وثانيها الغيظ، وثالثها التصامم . لنرجع النظر في هذه الآيات الشريفات:

- " يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت"[76] .

- " وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا"[77] .

- " و إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم"[78]

أخال أن الحركة المتجلية في الآية الأولى إنما تدل على الخوف، ولعل الذي يسند ذلك هو استشراف السياق القرآني الشريف، فهو آخذ في مقام الحديث عن البرق الذي يكاد يخطف الأبصار، و إذا كانت تلك حالهم مع البرق، فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ (79)، وقد جنح بعض المفسرين إلى أن في دلالة هذه الحركة الجسمية القائمة مقام دلالة الخوف اللفظية اتساعا مجازيا، فالمراد " الأنامل " لا الأصابع، وقد جاء ذلك لنكتة بلاغية في ذكر الأصابع لما فيها من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل، فالمجعول من الأصابع في الآذان رؤوسها، ذلك أن فيه إشعارا بأنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في أذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت(80) .

ولعل الذي ينبغي ختم هذه الباحثة الجزئية به أمران : أولها لغوي، وثانيهما جمالي بياني، أما اللغوي فان قوله الشريف " يجعلون أصابعهم في أذانهم " في هذا السياق على وجه التعيين يدل في معجم لغة الجسد على الخوف، بل على المبالغة في الخوف والتوقي منه، وأما الجمالي البياني فهو قائم على كون قوله – تعالى-: يجعلون أصابعهم" ذا ألق جمالي مشع يفوق التعبير المباشر " يخافون"، فكان هذا الوصف الحركي وصفا لحال نفسية تعتريهم في سياقهم ذلك، ورسما حركيا صوريا مادته الألفاظ اللغوية المنبئة عن المعنى.

أما الآية الثانية المتقدم بيانها فقد اشتملت على ذكر الأصابع كما الأولى، ولكن الدلالة المنبئة عنها مغايرة، ولعل هذا يفضي بنا إلى ترجيح من القول بتعريف المشترك اللفظي، فالكلمة الواحدة، وهي دال، قد يقع تحتها معنيان أو

أكثر، ولا يتعين أحدهما في الغالب إلا بالمضي مع السياق واستشراف حدوده وضمائره، وكذلك الحركة الجسدية ؛ فهي دال يصدق عليه تعريف المشترك اللفظي الحمال لمعنيين أو معان، ومن ذلك ما أنا خائض فيه، ففي الأولى كانت دلالة الحركة الخوف الشديد، وفي هذه الثانية كانت دلالة الحركة نفسها التصاميم والمبالغة في الإنكار لئلا يسمعوا دعوة الحق، وزادوا على ذلك مماحكة ومعاناة و إنكارا حركة أخرى تحمل كل تلكم الدلالات، وهي استغشاء الثياب، وتغطية الوجوه لئلا يروه، فهم يرفضون السماع والرؤية : سماع الدعوة ورؤية الداعي، فاستغشاء الثياب إذا زيادة في سد الآذان حتى لا يسمعوا، أو لتنكيرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرفوه إعراضهم عنه وقيل هو كناية عن العداوة[81]، كل ذلك كان بغضا و إنكارا وتوليا عن سماع النصح، أو رؤية الناصح [82].

أما الآية الشريفة الثالثة فهي التي تنبئ عن حال أفراد البطانة الذين لا يألون المسلمين خبالا، واللطيف المعجب في هذا الخطاب القرآني الرائق الراقي أنه قام في هذا السياق على المقابلة التصويرية ،فثم فئة مؤمنة، وتقابلهم بطانة من اليهود أو المنافقين كافرة، وثم حب يقع من بعض المسلمين يقابله كره يقع من البطانة، وثم إيمان يقابله كفر، وثم اصطناع التواد في الظاهر، وإضمار الغيظ والعداوة في الباطن، وهم يقولون آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره، وقد ورد فيها حركة جسمية أخرى مضمارها الأنامل، وهي دالة على التغيظ والتحرق والحنق، قائمة على تصوير المقابلة في المشاعر بين الباطن والظاهر : ظاهر النفاق واصطناع المودة مصداقا لقوله – تعالى - : "و إذا

لقوكم قالوا آمنا"[83]، وباطن الكفر والغيظ والإنكار المتمثل في الحركة الجسدية المرسومة بالكلمات، والمقابلة للصورة الأخرى، والجزاء من جنس العمل، فكان جواب إتيانهم عض الأنامل من الغيظ قوله الحق : " قل موتوا بغيظهم[84] .

والحق أن هذه الحركة في سياقها القرآني الشريف قد تكون فعلا حقيقيا أتى به هؤلاء ، وقد تكون كناية والأمران محتملان، وقد ذهب أبو حيان إلى أن ظاهر هذه الحركة الجسدية فعل ذلك، فوقع منهم عض الأنامل لشدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذ ما يريدون، ومنه قول أبي طالب :

وقد صالحوا قوما علينا أشحة يعضون عضا خلفنا بالأباهم[85]

وبعد، فأختم مباحثه حركة الأصابع في التنزيل بقول الشاعر المستطرف الذي يظهر فيه أن عاشقين قد تخاطبا من غير كلام بالفيء على العين، ثم أشفقا من عيون العذل جعلوا من الأنامل سلما للدلالة والتواصل:

يا للرجال العاشقين توافقـا وتخاطبا من غير أن يتكلما
حتى إذا خافا العيون وأشفقا جعلا الإشارة بالأنامل سلما [86]

من دلالات الوجه وإيحاءاته:

يقسم أهل هذا الدرس الحركات الجسدية قسمين:

- فطرية باعثها فطرة الله التي فطر الخلق عليها، ولعل أجلى مثال على ذلك الأطفال والصم والبكم والعمى الذين تصدر عنهم إيماءات وإشارات جسدية دون أن يكونوا قد رأوها فحاكوها، كالابتسامة في معنى الفرح، والمكشرة في معنى الحزن، وتقطيب الوجه في معنى الغضب، وهزة الرأس في معنى القبول.

-و مكتسبة تتخلق عند المرء بالاكتساب والتعلم[87]، وهذه الحركات المكتسبة تقسم إلى قسمين أولهما أن تكون حركات مكتسبة بالمحاكاة والتقليد، وثانيهما أن تكون مكتسبة بالدربة والمراس، كالتحايا العسكرية، والغمز بطرف العين، وإشارات الصم والبكم المتعلمة [88].

والذي يخص هذه المباحثة في هذا المقام الضرب الأول من الحركات، أعنى الحركات الفطرية، فقد ترددت ستة معان سميت بالانفعالات الستة العالمية، وهي مما يتوصل إليه بالوجه وتعبيراته وإيماءاته المنبئة عن معان، والحمالة لدلالات تقتبس من هذا المجرى الصامت لا الصائت، وأول هذه المعاني العالمية البهجة، وثانيها الحزن، وثالثها الاشمئزاز، ورابعتها الخوف، وخامستها الغضب، وسادستها الدهشة.

والحق أن بمكنة المرء - بقطع النظر عن لونه وجنسه ومشربه ولسانه – أن يقتنص هذه المعانى بالفيء إلى الإيماءات والحركات الفطرية التي تظهر في سياقها، وقد نهد عالم نفس أمريكي إلى الخوض في تأصيل هذه الانفعالات الستة

طلبا للتحقق من عموميتها وتعارف أهل الخليقة البشرية عليها، فوزع صورا كان قد التقطها معبرة عن تكلم المعاني المتقدم بيانها على جماعات من أجناس وبلدان وأعمار متباينة، وكانت صفوة القول التي أفضت إليها نتائج مباحثاته دالة على أن العينة تتواضع على معانيها تواضعا فطريا، فثم : 93% منهم أجمعوا أمرهم على معنى البهجة، و88% أجمعوا على معنى الدهشة ،و83% أجمعوا على معنى الاشمئزاز، و81% أجمعوا على معنى الحزن، و76 % أجمعوا على الخوف، و73% أجمعوا على الغضب[89].

وقد وردت هذه المعاني في التنزيل العزيز في مواضع متعددة، وكان الوجه بجملته الباعث الأول، والدال المعبر المخصص لتلكم المعاني المتباينة بتباين السياقات فظهرت:

- دلالة البهجة والحبور في قول الحق "وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة" [90].

- ودلالة الخوف في قول الحق:" وجوه يومئذ باسرة، تظن أن يفعل بها فاقرة"[91]، وكذلك : "وجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها فترة"[92].

- ودلالة الغضب في قول الحق: " ثم نظر، ثم عبس وبسر "[93]، وكذلك:" وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم"[94] .

- ودلالة الاشمئزاز المقرونة بالغضب في قول الحق: " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر"[95].

ودلالة التعجب في قول الحق:" فأقبلت امرأته في صرة، فصكت وجهها، وقالت عجوز عقيم"[96].

ومما يضاف إلى تلكم الدلالات:

- دلالة الراحة والتنعم : " تعرف في وجوههم نضرة النعيم"[97]، وكذلك : " وجوه يومئذ ناعمة"[98].

- دلالة العبادة وحسن السمت: " سيماهم في وجوههم"[99].

- دلالة الانقياد والاستسلام: وعنت الوجوه للحي القيوم"[100].

- دلالة الضلال والتخبط : " أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي على صراط مستقيم[101].

والذي يظهر بجلاء في جل هذه الآيات أنها تقوم على رسم مشاهد متقابلة يوم القيامة، وقد كان عماد هذا الرسم تصوير الهيئات الخارجية المنبئة عن الأحوال النفسية في مقام العرض على الله، وفي مقام الفوز أو الخسران المبين، وقد تجلى ذلك بالوصف الجسدي عامة، والوجهي خاصة لما للوجه من بيان وتبيين وإبانة تفوق اللفظ في ذلك الموقف، فثم وجوه تبيض، وأخرى تقف وجاهها مسودة، وثم وجوه مسفرة، مضيئة متهللة كالصبح إذا أسفر، وثم وجوه يعلوها السواد والغبار استيحاشا وخوفا مما قدمت أيديهم، وثم وجوه ناضرة من نضرة النعيم قد وجدت ما وعد ربها حقا، وثم وجوه أخرى باسرة خائفة شديدة العبوس تترقب أن يفعل بها داهية تقصم فقار الظهر[102]، وهكذا تمضي هذه

المقابلات بين هذين الفسطاطين في مشهد غيبي صوره الحق تصويرا يستشرف فيه المرء الظاهر والباطن، أما الظاهر فهو وصف الأحوال الجسدية، وأما الباطن فهو وصف الأحوال النفسية، فغدا مشهدا حيا واقعا لمن تدبر وتبصر.

أما دلالة الغضب في سياق الآية الشريفة فقد التفت إليها ثلة من المفسرين كالزمخشري، والقرطبي، ,وأبي حيان، فأشاروا إلى أنه قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل، وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم زحف مدبرا، وتشاوس مستكبرا[103]،

وقد أشار القرطبي إلى أنه قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين، والعبس مصدر عبس، معناه التقطيب، وبسر معناه أن وجهه تغير واسود [104]، وقيل إن البسر هو الشديد العبوس[105].

أما دلالة الاشمئزاز، ولعلها تكون مركبة مقرونة بالغضب والتجهم، فقد ظهرت جلية في صف الحق "تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر"، وقد ذهب أبو حيان إلى أن المنكر في سياقه ذلك المستاءة والتجهم والبسر والبطش الدالة على سوء المعتقد، وخبث السريرة ؛ لأن الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب"[106].

أما دلالة التعجب المعبر عنها بحركة جسدية شائعة فكانت صك الوجه، وقد وقف ابن جني عند هذه الحركة الجسدية في مقام آخر غير قرآني، ملتمسا فضلها في الكشف عن الحالة النفسية التي تعتري من يأتيها، و إيحاءاتها المتجلية

في ظلال التعجب والبهت فورد على حادثة (صك الوجه) التي هي حكاية شكاية امرأة على لسان شاعر

تقول – وصكت وجهها بيمينها – أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ؟

وقد علق عليها مستشفا فضل رواية هذه الحركة الجسمية في تعزيز المعنى، فقد جعلت هذه الحركة الجسمية كالمنبهة على فرط التعجب والإنكار والتعاظم، ولنا أن نتصور أن ثم مخبرا،و أن ثم معاينا لهذا الحديث الكلامي، فمن ذا الذي يقنع اللغوي ،أو ابن جني من قبل، أن دلالة الحدث القارة في نفس المعاين هي كالتي عند المخبر؟ إذ إن المعاين قد كان من شانه انه سمع الصائت وعاين الصامت، أما المخبر فلم يكن له حظ إلا بالوصف والتمثيل من الصامت،" فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس-من غير أن يذكر صك الوجه – لأعلمنا أنها كانت متعجبة منكرة ،لكنه لما حكي الحال ،فقال : "وصكت وجهها"علم بذلك قوة إنكارها،وتعاظم الصورة لها. هذا مع انك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها اعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين،....، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله : وصكت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها "[107]، ومن هنا قالت العرب قبلا ، وقال ابن جني بعدا، " ليس المخبر كالمعاين " ؛ ذلك أن ثم أحوالا شاهدة بالمقصود، حالفة على ما في النفوس"[108].

ومما يمكن أن يضاف إلى دلالات الوجه وإيحاءاته حركتان وردتا في التنزيل العزيز، وهما تصعير الخد، وثني العطف، والحق أنهما تنتسبان من طرف خفي إلى مبحث "الوجه"، وقد تثبتان في موضع آخر مستقل ،وقد ارتضيت إثباتهما هاهنا لما في ذلك من لحمة ووشائج بين هاتين الحركتين والوجه، بل إن الوجه يتسع لإدراجهما فيه وهما على النحو الآتي:

- تصعير الخد:

يظهر معنى الكبير والخيلاء على الإنسان في هيئات متباينة، فقد يشي بهذا المعنى لفظ يصدر من متلفظ ما، وقد تدل عليه هيئة جسمية على الجوارح، فتغدو ناطقة كما اللفظ،فيقال انه متكبر مزهو بنفسه، وهيئة"تصعير الخد" واحدة من التي تظهر على الجوارح، واصل ذلك مأخوذ من الصغر الذي هو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه[109]، وقد وقف المفسرون عند هذه الدلالة الآتية من هذه الحركة الجسدية في قول الحق -تقدس اسمه-: "ولا تصعر خدك للناس"[110]:

- فالزمخشري يرى أن المتعين هو: أقبل على الناس بوجهك تواضعا، ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون[111].

- والقرطبي يقول : لاتمل خدك للناس كبرا عليهم، وإعجابا، وإحتقارا لهم. وقيل هو أن تلوي شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره، فاقبل عليهم متواضعا مستأنسا[112].

- والشريف الرضي يقول: " فكأنه أمره ألا يشمخ بأنفه، ويعرض بوجهه من الكبر تشبيها بالبعير إذا أصابه ذلك الداء، ومن صفات الكبر رفع الطرف حتى كأنه معقود بالسماء"[113].

- وأبو حيان يقول إن المعنى: لاتولهم بشق وجهك كفعل المتكبر، وأقبل على الناس بوجهك من غير كبر ولا إعجاب[114].

- ثني العطف:

وهذه من الحركات الجسمية التي يستدل بها على معنى الكبر والإعراض، وقد ورد هذا المعنى في قول الحق: " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله"[115]. وقد ذهب بعض المفسرين بـ "ثاني " على أنها متعلقة بـ"يجادل"، والمعنى الكلي عندهم قائم على استشراف الدلالة من هذه الحركة الجسدية، فقد قيل عن المتعين هو: يجادل متكبرا لاويا عنقه بقبح، شامخا بأنفه[116]وقد جمع الزمخشري بين " تصعير الخد" و" ثني العطف " تحت باب دلالي واحد؛ ذلك أن " ثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصعير الخد ولي الجيد"[117]، وقد تأولها القرطبي على معنيين احدهما لي العنق مرحا وتعظما، وثانيهما ليه معرضا، والعطف ما انثنى من العنق، فكأن آتي هذه الحركة معرض عن الحق في جداله، ومول عن النظر في كلامه[118]".

من دلالات المشية وإيحاءاتها

للمشية هيئات دالة على معان مخصوصة، وقد التفت المصنفون في هذا المبحث،أعني لغة الجسد، إلى بعض تلكم الهيئات ودلالاتها، وشرعوا يلتمسون البواعث التي تفضي إلى تغير هيئات تلك المشية، ويستردفون من الوسائل التوضيحية كالرسوم والصور المعونة في التقسيم والشرح والتجلية، فلكل واحد منا "مشيته الخاصة به، وإيقاعه، وترجيح ذراعيه، وتوجيه قدميه، إن مشيتنا تؤلف جزءا من هويتنا، ومع ذلك فقد تختلف من يوم على آخر تبعا للحالة النفسية التي نجد أنفسنا فيها ،...، ولكن مزاجنا ليس العنصر الوحيد الذي يمكن أن يعدل مشيتنا، حتى عن للأرصاد الجوية تأثيرا فيها"[(119)].

وقد وقف باحث عند بعض تلكم الهيئات مقسما ومفسرا ومصورا ومعينا المعنى الذي ينطوي تحت كل هيئة، ومن ذلك:

- المشية الرشيقة: ويكون الذقن فيها مرفوعا، والخطوات واسعة، والخطو موقعا، والأنف شامخا.

-والمشية المهادة" البولدوزر" ويكون الكعب فيها مغروزا في الأرض، والخطوة سريعة ثابتة،والنظر مستقيما موجها إلى الأمام، مصروفا تلقاء هدف مراد لامحيد عنه .

- والمشية المخلعة، وفيها يبدو أتيها كأنه " مركب على نوابض كل ما فيها يتحرك"[(120)] .

- والمشية البليدة، وتظهر الخطوة فيها مرتكزة، والساق مجرورة مرتخية، والقدمان مثقلتين .

- والمشية الشبح التي يظهر فيها طرفا القدمين ملامسين للأرض، منزلقين خفية دون أن يحدثا جلبة أو أثرا إلا كما يحدثه التيار الهوائي، وهناك مشية " شارلو"، ولعل المقام لا يتسع للخوض في كل ذلك[121].

وقد أوردت ذلك في هذا السياق لأمرين أولهما تلمس بعض ذلك في التنزيل العزيز، وثانيهما الإلمامة إلى أن بعض معالمي هذا الدرس مبثوث في كتب الأوائل عامة، ومعجميات المعاني خاصة، ومن ذلك حديث الثعالبي في" فقه اللغة" عن فصل في تفصيل ضروب مشي الإنسان[122]، ومن ذلك التفاتته المعجبة إلى اثر السن في هيئة المشية ودلالتها، واثر الحال النفسية، والحال الصحية، وغير ذلك، لنرجع النظر في عجالة إلى ضروب المشي المثبتة ثم:

- الدرجان:مشية الصبي الصغير.
- والحبو مشي الرضيع على إسته.
- والحاجلان أن يرفع الغلام رجلا ويمشي على أخرى.
- والخطر أن مشية الشاب باهتزاز ونشاط.
- والدليف مشية الشيخ رويدا، ومقاربته الخطوة.
- والراسفان مشية المقيد.

- والاختيال والتبخر والتهبيس مشية الرجل المتكبر والمرأة المعجبة بجمالها وكمالها .

- والرفل مشية من يجر ذيوله، وبركضها برجله.

- والتذعلب مشية في استخفاء

- والترهوك: مشية الذي يمشي كأنه يموج في مشيه.

- والحندقة والنعثلة: أن يمشي مفاجأ، ويقلب رجليه، كأنه يغرف بهما، وهي من التبختر[123].

ثم يعقد فصلا خاصا في مشي النساء وهيئاته ودلالا ته، كالتهالك، والتأود، والبدح، والتبدح، والكتف، والتهزع، والقرصعة[124].

أما في التنزيل العزيز فقد وردت المشية في غير موضع شريف بغير هيئة، وقد أعقب تباين تلكم الهيئات تباينا في الدلالات والإيحاءات، فهناك مشية حمالة لدلالة الوقار، وأخرى حمالة لدلالة الكبر والتبختر، وثالثة دالة على الحياء، ورابعة على الجد والعناية، وخامسة باعثة على إثارة الشهوة، وسادسة على الوقار والطمأنينة والأناة.

للنظر في الآيات الكريمات :

- " ولا تمشِ في الأرض مرحا، إنك لر تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا"[125].

- " وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا"[126] .

- " فجاءته إحداهما تمشي على استحياء"[127].
-" وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى "[128].
- " وأقصد في مشيك"[129].
- " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما بخفين من زينتهن"[130].

أما في الآية الأولى ففيها نهي صراح عن مشية ذات هيئة تثير في النفس اختيالا ؛ ذلك أنها تومئي إلى الكبر والتطاول والشدة، والمقصد من هذا النهي الرباني أمران، أولهما تهكم بالمختال الضان بنفسه ظن السوء، وثانيهما التقرير بأنه لن يجعل فيها خرقا بدوس لها، وشدة وطأته، ولن يبلغ الجبال بتطاوله[131]، وقد جاء في " الإنصاف" : " وفي هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية في الانزجار عنها، ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية، وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا"[132]، وقد قرن الحق - تعالى- بين المرح والكبر، ذلك أن غلبة السرور والفرح يصطحبها التكبر والاختيال، ولذلك علل بقوله : إنك لن تخرق الأرض..."، والمعنى أنك لن تخرق بمشيك على عقبيك كبرا وتنعما، ولن تبلغ الجبال بالمشي على صدور قدميك تفاخرا وطولا، ونظيره : " وعباد الرحمان الذين يمشون في الأرض هونا "[133].

وفي مقابل هذه المشية المذمومة والمذموم آتيها مشية أخرى مندوبة ظهرت في سياق الآية الثالثة، وهي مشية المؤمن في تؤدة، وسكينة، وحسن سمت، فلا يضرب بقدميه، ولا يخفق بنعله أشرا ولا بطرا [134]، ولذلك وصف الرسول في شمائله الشريفة بأنه كان يتكافأ في مشيه كأنما يمشي في ضبب"[135].

وفي الآية الثالثة تظهر مشية المتأدب المستحيي،" فقد جاءته جاءته تمشي متحفزة مستحيية"[136].

أما مشية السعي فهي دالة على الجد والعناية، وللسعي أمس معنى مفارق لما ران عليه إلفنا اللغوي اليوم؛ ذلك أننا إذا أنعمنا النظر في دلالتها باعتبار الأصل لا الحال، ألفينا أنها كانت تدل على الإسراع في المشي[137]، وقد جاء في اللسان أن "السعي عدو دون الشد وفي الحديث " إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ولكن ائتوها وعليكم السكينة"،...، فالسعي هنا العدو، سعا إذا عدا" [138].

وتظهر دلالة الحركة الجسدية المستعينة من هيئة هذه المشية " السعي" في قوله – تعالى – :

" وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى[139]، وكذلك في قوله" وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن القوم يأتمرون بك ليقتلوك....." [140] فقد قيل أن هذا الرجل كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، فلما بلغه إن قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء يعدو ويشتد..."[141]، وأما في الآية الأخرى فقد شرح هيئة هذه المشية ودلالتها أبو حيان فقال: " يسعى : يشتد مشيه، ولما أمر فرعون بقتله خرج الجلاوزة من الشارع الأعظم لطلبه، فسلك الرجل طريقا أخرى اقرب إلى موسى"[142]، وللقارئ أن يتخل كيف ستكون هيئة مشية من يريد أن يقول لآخر يهمه أمره إن الناس قد أجمعوا ليقتلوك، إنها السعي والركض.

أما مشية الإثارة وضرب، الأرض بالرجل فباعثة على لفت النواظر، واستدعاء الشهوة من مكامنها وسيأتي فضل بيان مجل لها في باب القول على المتممات المساندة بعدا في هذا البحث.

المتممات المساندة في التنزيل العزيز

يشيع في درس لغة الجسد مطلب من البحث في المتممات المساندة التي تسمى (الاكسسوارات) كالنظارة والسيجارة والسيجار والقلم والهاتف والعصا واللباس والحذاء وغير ذلك كثير كثي[143]والظاهر من أمرها أنها تمدنا بمعان مخصوصة؛ ذلك أن بضعها توابع لأعضاء الجسد المؤمنة، ووكاشف للحالات النفسية والذهنية التي تعتري صاحبها، فهيئة حمل المرء لقلمه لها دلالة على انه كتب، أو يكتب، أو يفكر مطرقا ممسكا بقلمه، وقد يصل الأمر أحيانا إلى عتبة قضم القلم[144]. ولنضرب مثالا سريعا من تراثنا العربي على دلالة بعض تلكم المتممات المساندة، فالحجاج لما خرج يريد العراق واليا عليها، بدا بالمسجد فدخله، فقال لما كشف عن وجهه:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[145]

والذي أراده الحجاج، ومن قبله القائل ومن أتى مثل هذه الحركة- التهديد والوعيد المتحققان من حركة جسدية للمتممات المساندة، وهي العمامة، ودلالة اطرحها المفضي إلى أن يغدو صاحبها حاسر الرأس هي الجد والتشاغل عنها بهم، والظاهر إن الجاحظ في "البيان".

قد التفت إلى هذه المتممات المساندة، ومن ذلك تعريجه على الإشارة التي قد تقع بالثوب وبالسيف، فقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادا، وقد يكون وعيدا وتحذيرا[146].

وقد كان للمتممات المساندة ظهور في التنزيل العزيز وفضل في الإبانة والتواصل، ولننظر في ثلاثة متممات وردت في التنزيل العزيز استشرافا لدلالتها من جهة، وما رمى إليه الحق من جهة أخرى. أما أولها فالنعل التي بدا أن خلعها مجلية للتبرك، وأما ثانيها فالقميص الذي كان منبهة على ظهور الحق، مدعاة إلى الوقوف على حقيقة زعم رمي به بريء، وأما ثالثها فالخلخال الذي هو مفسدة في سياق لفت النظر وإبداء الزينة لغير من يجوز له أن يطلع عليها، وقد تجلى ذلك كله في الآيات الشريفات الآتيات:

-" فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى"[147].

-" ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن"[148].

- إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين[149].

أما "خلع النعلين" فحركة جسدية تنتسب إلى المتممات المساندة، ولعل لها دلالات متباينة وهي مجردة من سياقها، فقد تدل على أن آتيها به أذى من رجليه أو به مس، أو تواضع في مقام ما فخلع نعليه تبركا وتضامنا، ولعل الدلالة الأخيرة هي المستعينة من ذلك السياق، فقد قيل إن موسى – عليه السلام- أمر بذلك

ليباشر الوادي بقدميه متبركا به، وقيل لأن الجفوة تواضع لله، ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه[150].

والذي يتجلى في قوله – تعالى- : "ولا يضربن" أن ثم نهيا عن الإتيان بحركة جسدية تسندها بعض المتممات المساندة، أعني الخلخال، والمعنى المتعين أن المرأة لا يجوز لها أن تضرب الأرض برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها؛ ولعل النهي عن ذلك كالنهي عن إبداء الزينة، فإسماع صوت الزينة، وهي من المتممات المساندة، كإبداء الزينة في مذهب القرطبي[151] والغرض من هذا النهي عن هذه الحركة هو التستر، ولعل سبب نزول هذه الآية هو ما وقع حقا بسبب من هذه الفعلة التي أتتها امرأة اتخذت برثين من فضة، فمرت على القوم فضربت برجليها الأرض فوقع الخلخال فصوت، وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها[152].

وقد ذهب ابن حزم بعيدا في تلمس خفايا النفس الأنثوية في إتيان هذه الحركة والمتمم المساند؛ ذلك أن المرأة إذا مرت على الرجال قد لا يلتفت إليها، ولا يشعر بها، وهي تكره ألا ينظر إليها، فإذا فعلن ذلك نبهن على أنفسهن، وذلك بحبهن في تعلق الرجال بهن، وهذا من خفايا الإعلام بحالهن[153].

أما القميص، وهو من المتممات المساندة في قصة يوسف – عليه السلام- فكان ذا سهمة كبيرة في تشكيل القصة وحبكها من مفتتحها إلى منتهاها، فقد كان سبيلا من سبل التستر في إخفاء جريمة طرح يوسف أرضا، وسبيلا أخرى

من سبل درء التهمة عن النبي الكريم، وسبيلا معجزة في شفاء النبي أبي النبي. وقد ظهر في الآيات الكريمات التالية:

- فجاءوا على قميصه بدم كذب[154].

- وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم "[155].

- اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا[156].

ففي باب القول على درء التهمة كان للقميص بعد المراودة صورة ودلالة أفضتا إلى الوقوف على الحقيقة التي غدت سائرة على لسان نسوة في المدينة قائلات : امرأة العزيز تراود فتاها، ولعل أنظر ذلك الرجل المعجبة والمتبصرة في حال ذلك القميص وسيلة من وسائل التحقق والتثبت في موقع الشبهة أو الجريمة وليس يفوتنا في هذا المقام أن المحققين في أيامنا هذه يتشبثون بمثل تلك التفصيلات في مسرح الحدث، ويجعلونها من الدلائل الهوادي للحقيقة في غايتهم، وللمعنى في غايتنا .

و كذلك كان القميص في تشكيل آخر، وإخراج مسرحي مبين لحاله في المراودة، محاولة من أخوة يوسف للدلالة على أن الذئب قد أكله، فاستعانوا على مقصودهم بالوسيلتين : الصائتة وهي كلامهم وقولهم لأبيهم والصامتة، وهي

استرفاد الدلالة من المتممات المساندة التي توهموها في مسرح الجريمة المصطنعة . وكان القميص في سياق ثالث ذا دلالة معجزة ؛ إذ كان رديفا للدواء، مجلبة للشفاء مشهدة بحياة صاحبه ووجوده الذي طال انتظاره،"فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا، قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما تعلمون " ([157]).

الحركة الجسدية في جنب الله :

وقد تكون الحركة التي هي في جنب الله مما لا يحمل على محمل الحقيقة ؛ ذلك أنها تستحيل على الله، وقد يكون الباعث على وصف الحركة الجسدية، أو إثباتها في التنزيل العزيز، توضيح أمر ما بالتمثيل والتشبيه، " فللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح ،.، مع أشياء كثيرة ستراها في " أبواب المجاز"، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن " [158].

و من ذلك اليد الجارحة في جنب الله، كما في قوله – تعالى - : " يد الله فوق أيديهم"[159]، ولا يخفي أن هذه الحركة الجسدية إنما المتحالفون والمتبايعون، فهل لله يد على وجه الحقيقة، وبذا سيحمل هذا الخطاب القرآني على وجه من التشبيه والتجسيم، أم كانت تلك الحركة في سياقها توضيحا على سبيل المجاز، وبذا سيفهم على وجها لتنزيه ؟ وقد أولت اليد في تلك الآية بالنغمة، أي نعمة الله في المبايعة لما يستقبل من محاسنها، وقيل قوة الله فوق قواهم في نصرك

ونصرهم، وقال الزمخشري: أكد تأكيدا على طريقة التخييل، فقال : يد الله فوق أيديهم، والله – تعالى – منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام " [160]، وقيل: يد الله في الثواب فوق أيديهم في الوفاء[161].

و الحق أن هذه الحركة الجسدية وما هو من نحوها في التنزيل العزيز مما ألحق بآيات الصفات، وقد عدت من المتشابه[162]، ولست أخال أن ملمح التشابه فيها آت من جهة كونها مشكلة حقا، وإنما هو آت من تباين الوجهات في المعتقد، وطرائق التفكير والاستدلال ،وقد اختلف الناس في الوارد منها فكانوا على ثلاث شعب:

- أولها تغييب التأويل وانتقاؤه فالآيات محكمات تفهم على ظاهرها.
- وثانيها الاعتقاد بالتأويل مع الإمساك عنه.
- وثالثها الاعتقاد بالتأويل مع الإقدام عليه بما يليق به عز[163].

ولعل الذين قالوا بتغيب التأويل وانتفائه قد عولوا على مطابقة المعنى لظاهر اللفظ، أما الذين اعتقدوا بوجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقة فقد بدا استحالة التشبيه والتجسيم في حق الله، ومن ذلك ذكر " الوجه"، فقد ترددوا بين المنزلتين؛ منزلة الأخذ بالظاهر، ومنزلة التأويل[164]، ومن نحو ما تقدم صفة القرب والفوقية والمجيء والرضا والغضب والعجب[165]، والذي يبدو أن تلك الصفات ما جاءت إلا في سياق لغوي كريم يجري مجرى لغة العرب في مخاطباتها، وكل صفة تسجيل حقيقتها على الله تفسر

بلازمها[166]، وعند هذا يظهر المتدبر بروية ولطف نظر متجافيا عن مذهب الشطط والتكلف في تغييب التأويل أو استحضاره، بل يقصد إلى الغرض المتعين من تلكم الصفات كمن ينظر إلى المعني من ستر رقيق، فيعول على المعنى الكلي السياقي ؛ ذلك أن جميع الأغراض النفسانية: أعني الرحمة، والفرح، والسرور، والغضب والحياء، والمكر، والاستهزاء، لها أوائل ولها غايات.

ومن ذلك " الغضب "، فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء ،...، له أول، وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل ،فلفظ الحياء في حق الله على ترك الفعل لا على انكسار النفس "[167].

المقاولات الكلية:

لعله يستقيم بعد العرض الدال بالاقتضاب أن يقال إن في التنزيل العزيز نمطا توصيليا يمكن أن يسمى " لغة الجسد، أو التواصل غير اللفظي" وجل ما تقدم قبلا من دلالات وهيئات وحركات كان نماذج جزئية يراد منها تجلية هذه الظاهرة عامة، وبيان بعض تجلياتها في التنزيل العزيز خاصة، والذي يأتي عقب ذلك هو الموجهات الكلية التي تجمع نثار ما تقدم، وتجعله كالعقد الذي ينتظمه سلك جامع لأشتاته، وقد قسمت تلكم المقولات الكلية إلى ثلاثة أقسام: أولها احتراس، وثانيها تفسير، وثالثها استدراك تعقبه فاتحة.

أولا: احتراس

أما الاحتراس فهو آخذ في غورين اثنين:

أولهما : أن ما ورد هاهنا قليل من كثير يحتاج إلى مصنف قائم برأسه حتى يستغرقه بحثا واستشرافا، فثم الإشارة والرمز والوحي في القرآن الكريم، ومن ذلك إشارة مريم – عليها السلام – لما صامت عن الكلام، فلم تكلم في يومها ذلك إنسيا، فاسترفدت من لغة الجسد عامة، والإشارة خاصة، التواصل والإبانة عن مكنون لفظها، وخاص جوابها ومرادها، فكان ذلك كذلك، فرد عليها قومها وفاء لما كان منها من لغة جسدية صامتة غير صائتة: كيف نكلم من كان في المهد صبيا[168]، وكذلك زكريا الذي جعل الله آيته ألا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا و إيحاء قائمين على التواصل غير اللفظي[169]، وما كان أكثر حضور هذه الظاهرة في التنزيل العزيز، وذلك كله ايماءات تواصلية ،و كواشف لحالات نفسية، ودوال على معان معنوية، كالفرح، أو الحزن، أو الجزع، أو الخوف، وهناك وهناك الكثير من معين خالد لا ينضب، وهذا يكثر إن تتبعه، وقد أوردت أمثلة تنبه على الغرض الذي قصدته.

وثانيهما : أن تعيين معنى حركة جسمية ما على وجه الإحكام يجب ألا يكون بمعزل عن السياق الذي ترد فيه، وليس ينسى الالتفات إلى ما يصاحبها من حركات أخر تترافد وتتضافر في الإبانة والبيان[170]، فالحركة – وقد تقدمت إلماحة إلى هذا – كالكلمة، فلها دلالة مجردة مبثوثة في بطون المعجمات، ولها

دلالة أو دلالات أخرى تتباين بتباين السياق، وتباين ما يصاحبها من كلمات أخرى، وهذه هي حال الحركة الجسدية في لغة الجسد، ومن المثل المجلية لهذه الفكرة صورة ناطقة بالإبانة عن وصف حال الكافرين يوم القيامة وصفا قلبيا وقالبيا، فالحق يقول : "إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم "[171]، وفي هذه الآية وصف ذو دلالات لحركات جسدية نستعين على تعيينها بدلالة السياق الكلية التي تتجلى جوارحهم عينا ورأسا وطرفا ومشية[172].

ثانيا : التفسير

أما التفسير فالمقصود منه بيان سهمه الحركات وفضلها في الدلالة، والإبانة، والتواصل على وجه كلي ذي عموم استكمالا لمتطلبات البحث، واستشرافا للأنظار التفسيرية، فقد بدا للباحث أن الحركة الجسدية في سياقها القرآني الشريف تؤدى أغراضا ووظائف متعددة، وأن بمكنته أن يتناولها من وجهات متباينات، كالوجهة الدلالية، والوجهة النفسية، والوجهة اللفظية، والوجهة البلاغية الجمالية، والوجهة التربوية، والوجهة التوضيحية.

- أما الوجهة الدلالية فقد تكون الحركة الجسدية من الروافد التي تغذي المعنى، وتعزز فكرته ودلالته الكلية ؛ وذلك نحو قول الحق -تعالى-:"إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا"[173]، ولعل استشراف السياق البنيوي يفضي إلى

أن تكون الحركة الجسدية المتعينة في قوله – تعالى- : و إذ زاغت الأبصار " تدل على الخوف ورمي النظر في تخوف وتخطف، وليس يخفى، من وجهة أخرى، أن هذه الدلالة تتعين من قوله – تعالى- الذي جاء عقبها : "وبلغت القلوب الحناجر، فالحركة الجسدية ههنا رافد مهم يعزز المعنى المتشكل في سياقه البنيوي اللفظي، ولعل أصدق ميسم يمكن أن يسبغ على هذه الحركة وعلى ما هو من نحوها أنها من الروافد المعززة للمعنى.

- وأما الوجهة النفسية فقد تكون الحركة من الكواشف لحالات نفسية أنها؛ ذلك أنها وردت في سياقها الشريف على سبيل وصف حقيقة عاشها قطب من أقطاب الحديث أوالحدث الكلامي ؛ ذلك أنها وقعت فعلا؛ ثم وصفها الله لنا على أنها كواشف لحالات نفسية، ومنها دلالات الرأس الخفيض المتطامن في مقام التنكيس والارتكاس، ومنها كذلك قوله – تعالى- : ""تدور أعينهم[174]، فالدلالة المتعينة من هذه الحركة الجسدية منبئة عن حال نفسية تعتري أهلها في ذلك السياق وما يلتف بهم من أحوال وأهوال وقرائن.

- وأما الوجهة اللفظية فقد تغدو الحركة الجسدية مما يسد مسد كلمة أو كلام أو كلمات، فيكون الوصف الحركي في سياقه الشريف قائما على مبدأ الاعتياض، كما في قول الحق – تقدس اسمه- : فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق وهي خاوية على عروشها [175]، ولعل قوله " يقلب كفيه يعني في معجم الحركات الجسدية في هذا السياق الندم، وكأن السياق اللفظي: " فأصبح نادما على ما أنفق

فيها..." فكانت تلك الحركة من البدائل التي تقوم مقام سياق لفظي، إن كلمة، و إن جملة، و إن كلاما كما في قول الحق:" فأشارت إليه"[176].

- وأما الوجهة البلاغية الجمالية فقد تغدو الحركة الجسدية في سياقها الشريف ذات ألق مشع يبعث في نفس الملتقى إعجابا واسترجاعا للقولة المأثورة المفضية إلى التقرير بأن له حلاوة، وأن عليه طلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق وما هو بقول بشر، ومن ذلك قوله – تعالى-:" يقلب كفيه[177]، فللمرء أن يعيد على صاغي سمعه في كثير من الروية والتدبر البون المتجلى بين قول الناس " فأصبح نادما"، وقول رب الناس: فأصبح يقلب كفيه".

- وأما الوجهة التربوية فقد تغدو الحركة الجسدية في سياقها القرآني الشريف ذات أفق تربوي يصرف الأبصار تلقاء ما هو مندوب يبيحه الشارع، فحيث عليه، أو ما هو مكروه يمجه الشارع فيعاقب عليه، ومن تجليات الأولى قول الحق في حضرة قدس الذات، والتجلي، والتكليم، : "فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى"[178]، ومن تجليات الأخرى قول الحق مؤدبا، ومحذرا، ومنكرا على من يأتي بهذا المحظور المستهجن

من الحركات الجسدية، والمتمثل في وصفه جسديا وحركيا: "ولا تصعر خدك للناس" [179]و" ولا تمش في الأرض مرحا " [180]، و"ولا يضربن بأرجلهن"[181] .

ثالثا: استدراك ففاتحة

أما ثالثة الأثافي في باب القول على المقولات الكلية فالاستدراك، وبإستجماع ذلك كله قد تكون الحركة الجسدية في التنزيل العزيز من الروافد، أو الكواشق، أو السواد، أو النواقل، أو المحاسن:

- من الروافد المعززة للمعنى.

- أو الكواشف المجلية للأحوال النفسية والهيئات المقامية.

- أو السواد القائمة مقام بسط من الكلام والتطويل.

- أو النواقل التي تنقل لنا صورة الحدث بلفظه وحركته التي وقعت حقا لا تجوزا.

- أو المحاسن البيانية المعجبة الباعثة في النفس إمتاعا ومؤانسة.

- وقد تجتمع هذه الدلالات جميعها أو جلها في حركة واحدة متشكلة في سياق واحد، كما في القول الحق – تقدس اسمه- : " فصكت وجهها"، فهذه الحركة من السواد التي سدت مسد قولنا:"فتعجبت منكرة مستهجنة"، ومن الكواشف النفسية المنبئة عن حواشي نفس امرأة عجوز بشرت بحمل فولادة، ومن النواقل التي وصفت لنا ذلك الحدث الكلامي، فنقل لنا بنصه وبصك الوجه الذي قامت به العجوز حقا لا تجوزا، ومن المحاسن البيانية المعجبة التي تثير في النفس استحسانا، ومن الروافد المعززة للمعنى في سياقه اللفظي القائم على هيئة قصص يشتمل على خطاب قرآني حواري ذي طرافة، بل فرادة.

وبعد، فهذا ما لدي عتيد، وآمل أن يكون لهذا البحث فاتحة لا خاتمة، فاتحة لأبحاث أخر: لمعجم لغوي يرصد ألفاظ الحركة الجسمية في لغة التنزيل العزيز، أو لكتاب يستشرف هذه الظاهرة استشرافا شاملا وافيا يجمع بين الأنظار اللغوية الاجتماعية والنفسية، وهذا ما يعكف عليه الباحث.

ثبت المصادر والمراجع:

- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ،ط1، دار مجدلاوي، عمان، 1993م.

- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، دار صادر، بيروت،د.ت.

- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م.

- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (215هـ)، معاني القرآن،تحقيق هدى قراعة،ط1،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.

- الأصفهاني، أبو بكر محمد بن أبي سليمان(297هـ)، الزهرة،تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، 1985م.

- الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد(577هـ)، أسرار العربية، ط1،تحقيق فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، 1995م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (256هـ)، صحيح البخاري،ط3، تحقيق قاسم الرفاعي، دار الأرقم، بيروت، 1997م.

- بيز، ألن، مهارات تحقيق المبيعات الناجحة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1999م.

- تمام حسان، اللغة العربية:معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،د.ت.

- الثعالبي، أبو منصور عبد المالك بن محمد(429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا،و إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، دمشق، 1997م.

- الجاحظ، ابو عثمان عمروبن بحر(255هـ)،البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1990م.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان(392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط4، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990م.

- جيرو، بيير، علم الإشارة، ترجمة منذر عياشي، ط1، دار طلاس، دمشق، 1992م.

- أبو حيان، محمد بن يوسف (745هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

- خليل عمايرة، في التحليل اللغوي، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، 1987م.

- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ط1، عالم المعرفة، جدة، 1984م.

- دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982م.

- الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني،مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1961م.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (456هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ط3، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م.

- روي آرمز، لغة الصورة في السينما المعاصرة، ترجمة سعيد عبد المحسن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1992م.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1987م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، القاهرة، 1977م.

- سمير دبابنة، نافذة على تعليم الصم، مؤسسة الأراضي المقدسة(منشورات منظمة المبادرات " لتعليم الصم)، السلط،ط1، 1996م.initiatives"

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، بإشراف عبد المنعم إبراهيم، ط2، مكتبة نزار الباز، الرياض، 1998م.

- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين(406هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن،ط1، علم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986م.

- الطبرسي، الفضل بن الحسن(ـــ5هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(310هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد(328هـ)، العقد الفريد، شرح أحمد أمين، وأحمد الزين، و إبراهيم الأبياري، دار الأندلس، بيروت، 1996م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى(210هـ)، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، محمد الخانجي، القاهرة، 1962م.

- علي زيعور، اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1991.

- الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (05هـ)، المستصفى في علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، 1994م.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد(207هـ)، معاني القرآن،تحقيق أحمد نجاتي، ومحمد النجار، الدار المصرية، القاهرة، 1955م.

- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم(356هـ)، الآمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(276هـ)،تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، 1973م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(276هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.

- القرطبي، محمد بن أحمد(671هـ)، الجامع لأحكام القرآن،ط5، دار الكتب العلمية، بيروت،1996م.

- ابن كثير، إسماعيل بن كثير(774هـ)،تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، 1980م.

- أ. كوند راتوف، أصوات وإشارات: دراسة في علم اللغة، ترجمة إدور يوحنا، وزارة الإعلام، بغداد،(د.ت).

- ماجدة سيد عبيد، القاموس الإشاري للصم،ط1،نشر على نفقة المؤلفة ن جامعة الملك سعود، الرياض، 1992م.

- مارفين لوشكي، التمثيل الصامت: فهم وأداء الصمت المعبر، ترجمة سامي صلاح،ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.

- محمد عبادة، الجملة العربية: دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984م.

- محمد كشاش، لغة العيون: حقيقتها، مواضيعها، أغراضها، مفرداتها، ألفاظها، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

- ابن منظر، أبو الفضل محمد بن مكرم(711 هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- مهدي عرار، سياق الحال عند الإمام الغزالي في المستصفى: دراسة دلالية تواصلية، مجلة العربية، ع39، أمريكا، 2002.

- مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفاصل، ط1، دار وائل، عمان، 2003م.

- مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، مجلة دراسات، المجلد33، العدد1، 2006م.

- نازك عبد الفتاح، مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، ط1، دار قباء، القاهرة، 2002م.

- نتالي باكو ،لغة الحركات ،ط1،ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت ،1995م.

- النووي، محي الدين يحيى بن شرف(676هـ)، شرح صحيح مسلم، ط3، دار القلم، بيروت ،د.ت.

- ابن هشام ،جمال الدين بن هشام (761 هـ)،مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ،تحقيق

مازن المبارك، ومحمد حمد الله، ط2، مكتبة سيد الشهداء، (د.ن)، 1972.

- اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى(237 هـ)، غريب القرآن وتفسيره، تحقيق عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

الإنجليزية:

-Albert E., Scheflen ,Alice scheflen , Body language and social Order: Communication as Behavioral control, prentice-hall, Englwood cliffs,1972.

-Bownes,W., language and Society,2 nd edition, Cambrige university, Cambridge,1998.

-Hess,E., the tell-tale Eye, van Nostrand Reinhod, new york, 1975.

-Mitchell,M. E., How to read the language of the Face, Macmillan, new york,1968.

-paul, L., visual communication: Images with Messages wadsworth publishing company, California, 1995.

-Pease, A., Body language: How to Read Others' thought by their Gestures, Camel publishing company, Australia, 1990.

الهوامش والإحالات :

[1]) لمزيد بسط القول أنظر مبحث " الإبانة في المستوى الصوتي " في كتابي ظاهرة اللبس في العربية،ص 15-31 .

[2]) لمزيد بسط القول أنظر مبحث " الإبانة في المستوى الصرفي «، ظاهرة اللبس في العربية، ص31-44.

[3]) أنظر : دي سوسير، فصول في علم اللغة العام ص121-122 ,

[4]) أنظر : الجرجاني، دلائل الإعجاز ص، 410.

[5])الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 410 .

[6]) في ملاحظة ذكية قسم ابن هشام الجمل إلى الصغرى والكبرى، والكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو : زيد قام أبوه. أنظر كتابه: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، 2/ 497. وقد سماها خليل عمايرة، " الجملة النواة"، أنظر كتابه: في نحو اللغة وتراكبها، 86. وقد سماها محمد عبادة " الجملة البسيطة". أنظر كتابه الجملة العربية: دراسة لغوية نحوية، ص 153 .

[7]) انظر: خليل عمايرة، في التحليل اللغوي، ص 43.

[8]) أنظر: تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، 337 وما بعدها.

[9] - pease , Body language , p.6

[10] - Pease, Body Language, p.5.

[11])أنظر : الغزالي، المستصفى، ص55/1.

[12]) أنظر : الغزالي، المستصفى، ص698/1 .

[13]أنظر : الغزالي، المستصفى، ص 66/2.

[14]) أنظر : الغزالي، المستصفى، ص 67/2

[15]) انظر : الغزالي،المستصفى، ص 40/1

[16]) انظر: الغزالي،المستصفى ص ،2 /65

[17]) انظر : مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي م البلاغي، مجلة دراسات، عمان،
المجلد33، العدد2006،1 ص،107 – 108.

[18] -Pease, Body Language, p .17.

[19]) أنظر : مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة ص، 107-108 .

[20] الجرجاني ن دلائل الإعجاز ،ص 70

[21]) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص، 70.

[22]) الزمخشري، 89/3، وأبو الحيان، البحر،ص 6-454.

[23]) أنظر: باكو، لغة الحركات، ص 60-61.

[24]) الآية (الأنبياء،65).

[25]) انظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 77/7، وأنظر ما قاله القرطبي الجامع لأحكام القرآن ص،200/11.

[26] أنظر : الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 156.

[27]) الآية (السجدة، 12).

[28]) أنظر القرطبي، الجامع، ص 14 / 64

[29]) الآية (المنافقون، 5).

[30]) أنظر: القرطبي، الجامع ص، 83/18.

[31] أنظر: الطبرسي، مجمع البيان، ص 14/10.

[32] الآية(الإسراء، 51).

[33]) أنظر : الطبرسي، مجمع البيان ص، 205/6.

[34]) أنظر : القرطبي، الجامع، ص 178/10.

[35]) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد ص، 115/2.

[36]) "خواص" فعل مضارع،و الخوص غؤور العينين والخوص ن بالصاد، ضيقها.

[37]) انظر ابن عبد ربه العقد الفريد 2 ' 115.

[38]) المصدر السابق .

[39]) أنظر : ابن رشيق العمدة 1-309 والأبيات لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص 204

[40]) انظر: ابن داود، الزهرة، 150/1.

[41]) انظر: الآية (هود، 316)

[42]) انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 199/5، وانظر ما قاله القرطبي فيها، الجامع، 19/9، وأبو حيان، البحر المحيط 219/5.

[43]) الاية (القلم، 51).

[44]) الطبرسي، مجمع البيان ،78/10. وقد قال القرطبي إن المعنى قد يكون "يعتانونك"، وينظرون إليك شزرا بتحقيق شديد. أنظر" القرطبي، الجامع، 166/18، والشريف الرضي، تلخيص البيان،300،وأبوحيان،البحر،311/8.

[45]) الاية (الأحزاب، 19).

[46]أنظر: الزمخشري، الكشاف،255/3، وأبوحيان، البحر، 214/7.

[47]القرطبي، الجامعن 101/14، وأنظر ماقاله الطبرسي، مجمع البيان، 108/8.

[48] الآية(غافر، 19)

[49] انظر:الظبرسي،الجامع البيان،335/8.

[50]) أنظر القرطبي 15 – 198

[51]) أنظر الشريف الرضي تلخيص البيان 242

[52]) أبو حيان، البحر 7/ 438

[53] الاية(الاحزاب،10).

[54]) انظر:ابو حيان، البحر ،211/7.

[55]) الطبرسي، مجمع البيان،95/8نوانظر القرظبي،95/14.

[56]) الشريف الرضي، تلخيص البيان، 218.

[57]) الآية (الشورى، 45).

[58]) انظر : القرطبي، الجامع، 31/16، وأبو حيان، البحر 501/7.

[59]) انظر: القرطبي، الجامع، 16/ 31، والطبرسي، مجمع البيان، 50/9.

[60]) انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان، 250.

[61]- أنظر : الزمخشري، الكشاف، 474/3، وأبو حيان، البحر، 501/7

[62]) أنظر : ابن عبد ربه، العقد الفريد، 116/2، والشعر فيه لمحمود الوراق.

[63]) (الكهف، 42 الآية)

[64]) الفرقان، الاية : 276

[65]) الأعراف، الاية 149

[66]) أنظر ما قيل فيها : أدب الكاتب،16، وابو حيان، البحر، 123/6، والقرطبي، الجامع،226/10.

[67]) أنظر : أبو حيان، البحر 454/6، والقرطبي، الجامع، 13، 19، والطبرسي، مجمع البيان، 232/7.

[68]) أنظر : الفراء معاني القرآن،393/1، وأبو عبيدة، في القرآن، 228/1، الأخفش، معاني القرآن، 337، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 172، واليزيدي غريب القرآن 138.

[69]) أنظر : الزمخشري الكشاف، 118/2.

[70]) أنظر هذه التفاسير : أبو حيان، البحر المحيط، 392/4، وقد عرج معنى آخر، وهو أنها مأخوذة من "السقيط"، وهو مايغشى الأرض بالعدوات شبه الثلج، والسقيط يذوب بأدنى حرارة ولا يبقى، ومن وقع في يده السقيط لم يحصل على شيء منه، فصار هذا القول مثلا لكل من خسر وكانت عاقبته الندامة.

[71]) الشريف الرضى، تلخيص البيان، ص60

[72]) الزمخشري، الكشاف، 89/3، وابو حيان، البحر، 454/6.

[73]) الآية (إبراهيم، 9).

[74]) الآية (آل عمران ،119)

[75]) انظر هذه المعاني وغيرها : القرطبي، الجامع، 226/9 ،والطبرسي وأبوحيان، البحر، 397/5

[76]) (البقرة، الآية 19).

[77]) الآية (نوح، 7).

[78]) الآية (آل عمران، 119).

[79]) الزمخشري، الكشاف216/1.

[80]) انظر: الزمخشري، الكشاف، 217/1

[81]) انظر، القرطبي، الجامع، 194/18 وانظر ما قاله الزمخشري، الكشاف، 162/4، والطبرسي، مجمع البيان، 104/10، وأبو حيان ،البحر، 332/8

[82]) انظر: أبو حيان، البحر، 332/8 .

[83]) الآية (آل عمران، 119) .

[84]) الآية (آل عمران، 119)

[85]) أنظر : أبو حيان، البحر، 44/2، أنظر كذلك الزمخشري، الكشاف، 459/1، والطبرسي، مجمع البيان، 288/2، والقرطبي، الجامع 117/4.

[86]) انظر : الحصري، زهر الآداب، 1018/2.

[87] - pease , body language , p.8.

[88]) انظر: باكو، لغة الحركات، 19.

[89]) انظر،لفة الحركات،62،وقد أشار الوجه لأناس من خمس ثقافات متباينة، وقد كانت نتائج دراساتهم تدل على ان الثقافات الخمسة التي أقيمت عليها الدراسة لتقي

على الإيماءات الوجيهة نفسها، وهذا أفضى إلى ا لتقرير بان تلكم الإيماءات مما ينتسب إلى الفطرة التي أودعها الله فينا.انظر:8 p8 pease body language .

[90] عبس (لآية 38-39)

91) القيامة (الآية، 24)

92) عبس، الآية 40

[93]) (المدثر، الآية 22)

[94]) (النحل ،الآية58)

[95]) (الحج، الآية 72)

[96]) (الداريات، الآية 29).

[97]) (المطففين، الآية: 24)

[98]) (الغاشية، الآية 8).

[99]) (الفتح، الآية 29),

[100]) (طه الآية، 111)

[101]) (الملك، الآية 22)

[102]) انظر ما قاله: الزمخشري، الكشاف، 192/4، والقرطبي، الجامع، 147/19.

[103]) انظر ما قيل عن هذه الآية: الزمخشري، الكشاف، 183/4، والقرطبي، الجامع، 50/19، وأبو حيان، البحر، 366/8.

[104]) انظر: القرطبي،الجامع،50/19.

[105]) انظر:الزمخشري، الكشاف،192/4.

[106]) ابو حيان، البجر،358/6.

[107]) ابن جني، الخصائص،247/1.

[108]) انظر:ابن جني، الخصائص،246/2.

[109]) أنظر: الطبرسي، مجمع البيان، 67/8، والزمخشري، الكشاف، 234/3، والقرطبي، الجامع 47/14،وابن منظور، اللسان، مادة " صعر " .

[110]) الآية (لقمان، 18).

[111]) أنظر: الزمخشري، الكشاف،234/3.

[112]) أنظر: القرطبي، الجامع،74/14.

[113]) الشريف الرضي، تلخيص المجازات، 213.

[114]) أبوحيان، البحر، 183/7.

[115]) (الحج الآية، 19).

[116]) أنظر: أبوحيان، البحر ص، 329/6.

[117]) الزمخشري، الكشاف، ص6/3.

[118]) أنظر : القرطبي، الجامعن 12/12، وقد أشار الشريف إلى هـذين المعنيـين أيـضا. أنظر: تلخيص البيان ص 170.

[119]) باكو، لغة الحركات ص،54 .

[120]) انظر:باكو، لغة الحركات، 55.

[121]) المزبد بسط القول انظر: باكو، لغة الحركات، 55-56.

[122]) انظر: الثعالبي، فقه اللغة،198-199.

[123]) انظر ذلك كله: الثعالبي : فقه اللغة،198-199.

[124]) انظر: الثعالبي، فقه اللغة،199.

[125]) الآية(الإسراء، 37).

[126]) الآية(الفرقان،63).

[127]) الآية(القصص،25).

[128]) الآية(ياسين، 20).

[129]) الآية(لقمان،19).

[130]) الآية(النور،31).

[131]) انظر: الزمخشري، الكشاف،449/2.

[132]) ابن المنير، الإنصاف، 449/2.

[133]) الآية (الفرقان ،63)، وانظر : أبو حيان، البحر، 34/6.

[134]) الزمخشري، الكاشف، 99/3، وأبو حيان، البحر، 469/6.

[135]) انظر : أبو حيان، البحر، 469/6.

[136]) انظر : الزمخشري، الكشاف، 171/3، وأبو حيان ،البحر، 109/7.

[137]) ابن منظور، اللسان، مادة " السعي "، ابن قتيبة، تأويل المشكل، 509

[138]) ابن منظور، اللسان، مادة " سعي"، والراغب في مفرداته يرى أن السعي المشي السريع، وهو دون العدو، انظر: المفردات، 261.

[139]) الآية (ياسين، 20)

[140]) الآية (القصص،20).

[141]) الطبرسي، مجمع البيان ص،202/8.

[142]) أبو حيان، البحر ،106/7،و الجلاوزة مفردها الجلواز، وقيل معناها الشرطي Pease, body language.p.

[143]) أنظر : باكو:، لغة الحركات، 70، 75، و 162، 155.

[144]) تربط باكو هذه الحركة بالسعادة والانفعال أحيانا.انظر: لغة الحركات ،70.

[145]) انظر: الجاحظ، البيانو التبيين، ص308/2

[146]) انظر : الجاحظ، البيان والتبيين، 77/1.

[147]) الآية (طه، 12) .

[148]) الآية (النور، 31).

[149]الآية (يوسف، 26-27).

[150]) انظر : الزمخشري، الكشاف، 531/2.

[151]) انظر القرطبي،الجامع،158/12.

[152]) انظر :القرطبي، الجامع،158/12، وانظر ما قيل في هذه الحركة والمتمم المساند: الطبرسي ،مجمع البيان ،192/7، وأبو الحيان، البحر،414/6.

[153]) انظر:أبو حيان،البحر المحيط،414/6.

[154]) الآية(يوسف،18).

[155]) الآية(يوسف،26-28).

[156]) الآية(يوسف،93).

[157]) الآية (يوسف، 96) .

[158]ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، 21 .

[159]الآية (الفتح، 10) .

[160]) انظر : الزمخشري، الكشاف، 543/3، وأبو حيان، البحر، 92/8.

[161]) انظر : القرطبي، الجامع، 177/16.

[162]) انظر: الراغب، المفردات، 225، والزركشي، البرهان 78/2، والسيوطي، الإتقان، 685.

[163]) انظر : الزركشي، البرهان، 78/2.

[164]) انظر: الزركشي، البرهان، 80/2

[165]) انظر : السيوطي، الإتقان، 688.

[166]) انظر السيوطي، الإتقان، 692.

[167]) السيوطي، الإتقان، 692.

[168]) الآية (مريم، 29).

[169]) كان ذلك مصداقا لقوله تعالى: " قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا"، الآية (آل عمران41).ذ

[170]- Pease, body language, p.17

[171]) الآية (إبراهيم، 43).

[172]) انظر ما قيل في هذه الآية: الطبرسي، مجمع البيان، 6/9-70، والقرطبي، الجامع، 247/9، وأبو حيان البحر، 5/418-419، والشريف الرضي، تلخيص البيان، 113.

[173]) الآية (الأحزاب، 10).

[174]) الآية (الأحزاب، 19).

[175]) الآية (الكهف،29).

[176]) الآية (الكهف،42).

[177]) تقدم تخريجها.

[178]الآية(طه،12).

[179]) الآية (لقمان،18).

[180]) الآية (الإسراء، 37).

[181]) الآية (النور، 31).